الخطبة التاسعة

الصلاة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله عدد خلقه، الحمد لله مداد كلماته، الحمد لله زِنَةَ عرشه، الحمد لله رضا نفسه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أدى الأمانة ونصح الأمة وتركنا على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وبعد:

1 – قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج: 22/ 41]، 2 – قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [فاطر: 35/ 18]، 3 – قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ [فاطر: 35/ 29] ، 4 – قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ [الشورى: 42/ 38]، 5 – قال تعالى: ﴿ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴾ [إبراهيم: 14/ 31]، 6 – قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [البقرة: 2/ 3].

1 – إن من أسباب التمكين في الأرض: إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وإقامة شعائر الدين، وأيضاً من أسباب استمرارية التمكين في الأرض، واستمرارية النصر،

واستمرارية دوام الدولة الإسلامية هي في إقامة الصلاة حق إقامتها وإقامة شعائر الله سبحانه، وإحقاق الحق وإنكار كل ما هو باطل ومخالف لشريعة الله وأوامره.

2- لا يتعظ ولا يفهم ولا يستوعب إلا من كان خائفاً من الله سبحانه وتعالى، لذلك فإن الوعيد والتخويف والإنذار لا يفعل فعله إلا فيمن كان عنده الفهم والاستيعاب، والذي عنده الفهم والاستيعاب هو الذي يخشى الله في سره وعلانيته، هو الذي يخشى عذاب الله في خلوته وتذرف عينه، والذي يخشى عذاب الله سبحانه في سره وفي خلوته أي يخشاه حقيقة: هو الذي يقيم الصلاة، وهو الذي يتطهر عن الشبهات والدنائس، يتطهر ويتزكى عن كل ما به شائبة وريبة ونجس وحرام، ولا يفعل ذلك إلا تطهيراً لنفسه وخوفاً من أن تشوبها شائبة فتقع في عذاب الله، ولذلك كان التسلسل في الآية جميلاً جداً في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ [فاطر: 35/ 18]، أي أن الإنسان الذي يخاف يؤمن بأنه يوم القيامة عندما تدعو النفس المثقلة بالآثام نفوساً أخرى من أقارب وغيره إلى المشاركة في حمل أثقاله وحمل ذنوبه لا يكون هنالك من مجيب، فلا الوالد يحمل عن ابنه، ولا الابن يحمل عن والده، ولكن من يفهم هذا الكلام؟ ومن يَعِ إلى هذه الحقائق والوقائع؟ يفهم هذا المؤمن، والمؤمن الذي يخشى الله في سره، والذي يخشى الله حقيقة يقيم الصلاة وشعائر الدين حق الإقامة.

وقال ﷺ في حجة الوداع عن عمرو بن الأحوص: «ألا لا يجني جان إلا على نفسه، لا يجني والد على ولده، ولا مولود على والده» أخرجه الترمذي (3087)، أحمد (16108).

3 - إن الذين يتلون كتاب الله تعالى حق تلاوته ويداومون على ذلك، وينفقون في سبيل الله في السر والعلانية، من يفعل هذا فهو الذي يرجو الرجاء الحق، يرجو

صدقًا، يرجو حقيقة، بأن يفوز بجنة الله سبحانه، ونقول باختصار أن عوامل التجارة الحقة هي:

1 - تلاوة كتاب الله حقًا.

2 - وإقامة الصلاة على حقيقتها.

3 - والإنفاق في سبيل الله في السر والعلانية، وقد يُفهم بأن الصلاة والإنفاق اختيرتا من بقية شعائر الدين لأهميتهما ولكونهما - أي: الصلاة والإنفاق - تمثيلاً عن بقية الشعائر.

4 - والذين استجابوا لربهم حق الاستجابة، وآمنوا به حق الإيمان، وخافوه حق الخوف، ورجوه حق الرجاء، أي أنهم استجابوا إلى أوامره ونواهيه، استجابوا إليه بأن خافوا وعيده ورَجَوا ثوابه، هؤلاء أجابوه وأقاموا الصلاة، فلو سألنا السؤال الذي هو: لو أن أحداً استجاب ولم يقم الصلاة، فهل يكون قد استجاب؟ الجواب: لا، فهل هذا يعطي ضوءاً لفهم الآية: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [الشورى: 42/ 38]؟ والله سبحانه يحثنا على الاستجابة فيقول في السورة نفسها قال تعالى: ﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴾ [الشورى: 42/ 47].

5 - تكريم من الله بأن نسب مقيمي الصلاة والمنفقين بقوله: (عبادي) سبحانه وتعالى، فهو لقب تشريف ولقب تفضيل، (عبادي) كلمة جميلة كلمة فيها الرفعة والمكانة، فعباد الله حقيقة هم الذين يقيمون الصلاة وينفقون مما رزقهم الله ويؤمنون باليوم الذي لا بيع فيه ولا خلال، لا بيع فيه فيشتري الإنسان نفسه أو يفدي نفسه بدفع عوض أو ما شابهه، (ولا خلال) ليس هناك خليل ولا حميم ولا شفيع يشفع وينقذ من عذاب الله سبحانه وتعالى.

6 – قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: 2/ 3]، المتقي حقيقة وفعلاً له أوصاف وصفات كثيرة أوردها الله سبحانه في القرآن لنتعلمها ونتصف فيها، وابتدأ سبحانه أن المتقي هو الذي يؤمن بالغيب، لأن الإيمان بالغيب هو أساس الإيمان، فكل أركان الإيمان هي بالنسبة لنا غيب، والجنة غيب والنار غيب، وكل ما في اليوم الآخر، والقبر وحياة البرزخ غيب، والملائكة غيب والرسل غيب، وكتبهم غيب إلا القرآن الكريم فهو بين أيدينا، فالإيمان بالغيب أساسي، ومن يكن إيمانه بالغيب يقينًا يُقيم الصلاة ويأتي ببقية الشعائر، والذي لا يقيم الصلاة فليس مؤمنًا بالغيب ففكر في هذا، والله المستعان.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: «الصلاة على وقتها»، قال: قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين» قال: قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله، فما تركت أستزيده إلا إرْعاءً عليه» أخرجه مسلم (85).

مادة صلى، يصلي، يصلون، ذكرت في القرآن (92) مرة – كلمة الصلاة لوحدها ذكرت (67) مرة – كلمة الزكاة لوحدها ذكرت (32) مرة – كلمة الحج لوحدها ذكرت 9 مرات، ومادة حج (12) مرة – كلمة الصيام ذكرت (7) مرات، ومادة صام ذكرت (13) مرة.

ثانيًا – الصلاة تشتمل على أركان وواجبات وسنن:

أ – الأركان هي: 1 – القيام، 2 – تكبيرة الإحرام، 3 – الفاتحة، 4 – الركوع، 5 – الرفع من الركوع، 6 – السجود، 7 – الجلوس بين السجدتين، 8 – السجود الثاني، 9 – التشهد الأخير، 10 – التسليم ويشمل التسليمتين، لأنه هو الأحوط، 11 – الترتيب بين الأركان، 12 – الطمأنينة في الأركان لقوله ﷺ للمسيء صلاته:

«ثم اركع حتى تطمئن راكعـًا»، «ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً»، وما قاله عليه الصلاة والسلام له: «ارجع فصَلِّ فإنك لم تُصَلِّ» أخرجه البخاري (724)، مسلم (397) من حديث أبي هريرة.

وما حُكم من ترك ركنـًا متعمداً؟ صلاته باطلة إذا تعمد ذلك، أما إذا كان ناسيـًا فيأتي بركعة بدلاً عن الركعة التي أخل بها ويسجد سجود السهو.

ب - الواجبات هي: الأقوال والأفعال التي إذا تركها الإنسان عمداً بطلت صلاته، وإن تركها سهواً يأتي بسجود السهو منها: 1 - التكبيرات سوى تكبيرة الإحرام، 2 - التسبيح في الركوع والسجود، 3 - التشهد الأول وجلسته، 4 - التسميع والتحميد؛ أي: سمع الله لمن حمده، لحديث عبد الله بن بُحينة رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ قام من الركعتين فلم يجلس للتشهد في صلاة الظهر، فلما قضى الصلاة وانتظر الناس التسليمة سجد سجدتين ثم سلّم» أخرجه البخاري (1167).

جـ - السنن هي: 1- الزيادة في التسبيح في الركوع والسجود، 2- الدعاء بين السجدتين والسجود، 3 - صفة الجلوس، 4 - رفع اليدين، 5 - رفع الإصبع في التشهد، 6 - السجود على الجبهة وعظمة الأنف واليدين، والركبتين والرجلين (وأصابع الرجلين متجهة للقبلة)، والسواك من السنن قبل الصلاة، 7 - وأن يركع ويستقيم صلبه في الركوع، 8 - والرفع من الركوع حتى يقيم صلبه مع الاطمئنان، 9- والرفع من السجود حتى يقيم صلبه مع الاطمئنان، 10 - وضع اليدين على الصدر.

ثالثـًا - سجود السهو وأسبابه ثلاثة:

1 - الزيادة، 2 - النقص أو الشك، 3 - الإخلال في الترتيب.

أما الزيادة فهي الزيادة في الأركان ناسيـًا، أما إذا كان متعمداً كإضافة ركوع ثانٍ، فإن هذا يبطل الصلاة، أما إذا كان ناسيـًا، وأتى بركوع ثانٍ، فإنه يأتي بركعة بدل الركعة التي أخل بها، ويأتي بسجود السهو.

وأما النقص في الأركان فيأتي بركعة بدل الركعة التي أخل بها، ويأتي بسجود السهو. وأما إذا كان شاكًا في صلاته أَصلّى ثلاثًا أم أربعًا، فإنه يبني على الأقل ويأتي بسجود السهو كما في صحيح مسلم، فإنه يبني على الأقل لأنه هو اليقين، والقاعدة: الشك لا يذهب باليقين. وإذا أخل في الترتيب كما لو نسي جلوس التشهد النصفي، فهذا يخل بترتيب الصلاة فيأتي بسجود السهو.

رابعًا - مبطلات الصلاة:

1 - ترك ركن، 2 - ترك شرط، 3 - ترك واجب تركًا متعمداً، 4 - الكلام، 5 - الأكل، 6 - الضحك، 7 - التحول من القبلة لأنها شرط، 8 - الإتيان بحرام كأن ينظر إلى أجنبية، 9 - نقض الوضوء.

خامسًا - شروط الصلاة:

1 - الإسلام، 2 - العقل، 3 - البلوغ، 4 - الوقت، 5 - استقبال القبلة، 6 - الطهارة (المكان، الثياب والجسد)، 7 - الإدراك.

أ - الخشوع في الصلاة:

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: 23/ 2].

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من امرئ تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت له كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يأتِ بكبيرة وذلك الدهر كله» أخرجه مسلم (228).

ب - حضور القلب والتفكر فيما تقرأه، وذلك بأن يكون المسلم راجيًا بصلاته القبول من الله تعالى والمغفرة، وأن تكون صلاته سببًا في بُعْدِه عن العذاب بأشكاله، ومنه عذاب القبر وعذاب المحشر وعذاب النار، والمرور على الصراط كالبرق بإذن الله تعالى.

جـ - ويجب على الإنسان المسلم أن يكون عنده إحساس وشعور بالأهمية لهذه الصلاة، فيحسن الوضوء ويحسن الوقوف بين يدي الله، ويحسن القراءة ويحسن التسبيح ويحسن الدعاء، ويدعو وهو موقن بالإجابة، ويدعو بأدب، ويدعو بقلب متفطر باك مخلص لله تعالى، ويحسن التوبة، ويصلي في مكان جيد طاهر بلباس طاهر يَنُمُّ عن احترام الله تعالى، ويصلي في أول الوقت فهذا مما لا خلاف فيه، وإن أفضل الصلاة هي الصلاة في أول وقتها، كما قال العلماء وابن تيمية في (الفتاوى)، وبناء على حديث الرسول ﷺ حينما سئل عن أفضل الأعمال فقال ﷺ: «والصلاة على أول وقتها» الترمذي - ك، وهذا الإحساس ينبع من إيمان عميق من الإنسان المسلم الحق، وأجمل ما أُثر في هذا الباب قصة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما طُعن وكان يغمى عليه بين الفينة والفينة، وأراد الناس أن يوقظوه، فما كانوا يستطيعون فجاء ابنه عبد الله فقال: إذا أردتم إيقاظه من غفوته فنادوا بالصلاة، فلما نادوا: الصلاة الصلاة، كان رضي الله عنه وأرضاه يفيق، وكلما أغمي عليه نادوا عليه: الصلاة الصلاة فيفيق إلى أن توفي رحمه الله تعالى.

فانظر يا أخي إلى قوة الصلاة وإلى شعوره بها وإلى عظمتها في نفسه، فهي حق الله على عباده، وهي كما بدأت بالحديث: أفضل الأعمال إلى الله، وهي كما قال ﷺ: من أن الحساب يُبدأ بها فيقول الله تبارك وتعالى: «هات ما لعبدي من صلاة، فإن كملت وقبلت قُبِل منه سائر عمله»، فالصلاة الصلاة يا عباد الله.

- قال ﷺ: «إن العبد لينصرف من صلاته ولم يكتب له منها إلا نصفها، إلا ثلثها، إلا ربعها حتى قال: إلا عشرها» أخرجه أحمد (18914)، أبو داود (796) من حديث عمار بن ياسر.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: «ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها»، وعن

أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «إن العبد إذا أكمل الصلاة صعدت ولها برهان كبرهان الشمس وتقول: حفظك الله كما حفظتني، وإن لم يكملها فإنما تُلفُّ كما يُلَفُّ الثوب، ويضرب بها وجه صاحبها، وتقول: ضيعك الله كما ضيعتني» الطبراني في الأوسط (3095).

وعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال ﷺ: «لا تقبل صلاة من لم يقم صلبه في الركوع والسجود» أبو داود (855) - الترمذي (265).

وقال ابن عباس رضي الله عنه: إقامة الصلاة تكون: 1 - في إتمام الركوع والسجود، 2 - والتلاوة والخشوع، 3 - الإقبال فيها على الله.

وقال قتادة رحمه الله: الإقامة تكون في المحافظة على مواقيتها، وركوعها، وسجودها، ووضوئها، والخشوع فيها، وتدبر آياتها، والانصراف بالكلية إلى الله تعالى ، والخشوع في الصلاة هو الطمأنينة في جميع أعمال الصلاة وأركانها وواجباتها وسننها، ودليل ذلك ما جاء في الصحيحين: أن رجلاً دخل المسجد وصلى ركعتين ورسول الله يراقبه، فلما قضى صلاته جاء فسلم على النبي ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «ارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ» مرتين أو ثلاثاً، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق ما أحسن غير هذا، فعلمني ما يجزئني في صلاتي، فقال عليه الصلاة والسلام: «إذا قمت إلى الصلاة فكبّر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم اجلس حتى تطمئن جالساً، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها».

ورأى سعيد بن المسيب رضي الله عنه رجلاً يعبث بلحيته في صلاته فقال: «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه».

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم